لا حسد إلا فى اثنتين

للأستاذ محمود حلبى

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال . لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار .

(رواه مسلم)

قال النووى : قال العلماء الحسد قسمان ، حقيقى ومجازى ، فالحقيقى تمنى زوال النعمة عن صاحبها ، وهذا حرام بإجماع الأمة ، مع النصوص الصحيحة وأما المجازى فهو الغبطة ، وهو أن يتمنى مثل النعمة التى على غيره ، من غير زوالها عن صاحبها ، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة ، وإن كانت طاعة فهى مستحبة .

والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا فى هاتين الخصلتين ومافى معناهما ، قوله صلى الله عليه وسلم (آناء الليل والنهار) أى ساعاته وواحده الآن . انتهى .

* * *

كلما تأملت هذا الحديث الشريف أحسست بعظمة النبوة ، وإشراق أنوارها ، وتلألؤ سناها فى ثناياه .

لا حسد ...

لا ينبغى التحاسد ، لا ينبغى أبدا أن تتمنى زوال نعمة الغير ...

هذا شىء لا يليق بالمؤمن ، لأن المؤمن يعلم أن كل شىء بقدر .. وأن الله قسم بين الناس أرزاقهم وأخلاقهم وكل شىء فيما بينهم ، فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ... ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك .. جفت الأقلام وطويت الصحف ... الخ هذه النصوص والتوجيهات والحقائق التى يؤمن بها المؤمن .

نعم التحاسد شىء لا يليق بالمؤمن لأنه إذا تمنى زوال نعمة غيره ، فقد صادم القدر ، وعارض أمر الله ..

إنه مهما يتمنى فلن يكون له ما تمنى
أم للإنسان ما تمنى ! ... كلا .. بل
لله الآخرة والأولى .

هب أنك رأيت إنسانا فى نعمة ،
ومكثت طول عمرك تتمنى زوالها ،
هل هذا التمنى يذهبها عنه ؟ كلا .. فأولى
لك ثم أولى أن تنصرف بعواطفك إلى
شىء آخر يعود عليك بالنفع وعلى غيرك .

والحسد صفة من أخس الصفات
تجعل القلب يغلى بالأحقاد غليانا ،
وتوشك أن تذهب بكل خير تبقى فى
قلب الإنسان .

أنظر كيف دفع الحسد إخوة
يوسف ، وهم أولاد نبى إلى التآمر على
أخيهم الطفل . فذهبوا ليقتلوه ؟ ...
فماذا كان رد القدر عليهم ؟

كان ردا دامغا قويا ... أن من
الله عليه ، وآتاه الملك والنبوة .. وهما
أرفع نعمتين يمن الله بهما على إنسان .
أما الملك فهو أعلى مقام فى الدنيا ،
وأما النبوة فهى أعلى مقام فى الآخرة
آتاه الله هاتين النعمتين العظيمتين ، ردا
عليهم وعلى أمثالهم ، إنه لا ينبغى معارضة
القدر ، ولا مقاومة الإرادة الإلهية .
وجاء بإخوته فقراء أذلاء يستجدونه
أن يحسن اليهم ويتصدق عليهم ...
كذلك جزاء المحسنين .. وكذلك
يكون عقاب الحاسدين .

نعم لا ينبغى أن يحسد المؤمن ..
وإنما يسأل الله من فضله الواسع ...
« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض وسلوا الله من فضله »

ما أجمل وأحلى ذلك التوجيه
الإلهى الكريم ؟

لا تتمنوا أيها الناس ما فضلنا به
بعضكم على بعض ... نهى إلهى كريم
عن صفة حيوانية خسيسة ... فهل
وقف القرآن عند ذلك ؟ .

كلا ... وإنما سارع يضع العلاج
فما العلاج ؟ وسلوا الله من فضله ...
إن خزائن الله مليئة لا تغيض ... وهذا
الذى تراه من النعم التى تغمر الخلق
جميعا إنما هو بالنسبة إلى ما فى خزائنه
سبحانه « كما يغمس أحدكم أصبعه فى
الماء ثم ينزع فلينظر ماذا يرجع ؟ » .
لا شىء والله يارب لا شىء .. لا شىء
ما فيه الناس جميعا من النعم بالنسبة إلى
ما فى خزائنك .. إذاً العلاج أن نسأل
الله من فضله ... أن أتوجه إلى الله
وأدعوه أن يؤتينى مما فى خزائنه ...
وهو الجواد المعطى الذى لا يردك
خائبا أبدا ..

لا ينبغى إذاً أن يكون الحسد من
المؤمن . بعد أن تجلت تلك الحقائق
وتألقت ...

ذلك توجيه الله سبحانه وتعالى ، وتلك تعاليم كتابه فى علاج الحسد .. فما توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماتعاليمه فى علاج الحسد ؟

لن يخرج مايصدر عن رسول الله عما ينزل من عند الله ؟

رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار .

إذا أردت أن تحسد أيها المؤمن فاحسد هذا الإنسان .

أنظر .. كيف يوجه صاحب الرسالة قلوبنا إلى أعلى ثم إلى أعلى الأعلى ... ثم مايزال يتسامى بنا ويتسامى حتى يحلق بنا إلى أعلى مقام فى الآخرة وهو أن تكون عالما عاملا بالقرآن .

رجل آتاه الله القرآن ... آتاه الله القرآن حفظاً وفقها ودراسة وبحثاً وتفصيلا وإجمالا ... فهو يقوم به .. فهو يعمل به ... آناء الليل وآناء النهار هو يعيش ليله ويومه بالقرآن ... يطقه على نفسه ... ويدعو الناس إليه ... فهو داعية إلى الله عن فقه وإدراك ، وفهم وشمول ... هو خير الناس إذاً ، وأوسعهم قلبا ، وأرفعهم مقاما عند الله ..

إنه يتكامل فى نفسه ... ويدعو سواه إلى الكمال والتكامل ومن من الناس أعظم من هذا ؟

وهل تطيق أيها المؤمن ذلك ؟

هذا مايدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، ويحببك فى حسد من كان شأنه كذلك !

تمنى أن تكون كابن عباس ، تمنى أن تكون كأبى هريرة ، تمنى أن تكون كالشافعى ، تمنى أن تكون كابن حنبل تمنى أن تكون كابن القيم ، تمنى أن تكون كالغزالى ..

تمنى ماشئت من العلماء العاملين . واحسدهم على ما آتاهم الله .. وحاول أن تكون مثلهم ، أو حتى شيئاً ولو قليلا منهم .

أرايت جمال التوجيه ، وكمال الإرشاد؟.. إنها النبوة .. ومن يستطيع الإرشاد غير رسول الله ؟ .

* * *

هذا من ناحية النعم التى تؤدى إلى العلو فى الآخرة ، أو هذا من ناحية النعم الأخروية . فما بال النعم الدنيوية التى هى مطمح النفوس جميعا .. وهدف الناس كلهم .. « بل تحبون الآخرة وتذرون الآخرة » ؟

ورجل آتاه الله مالا ، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ..

نظر النبى صلى الله عليه وسلم فعلم أن المال هدف الناس جميعا « وتحبون المال حبا جما » ، وأن صاحب الأموال

محسود دائما من الذين تخلفوا عن اللحاق بمواكب الأغنياء ، وإن كل ذى نعمة محسود ، فجعل صلى الله عليه وسلم يضع العلاج النبوى لهذا الداء .

وأى داء ؟ .. المال يا صاحبى .. المال الذى عبده ابن آدم من دون الله

المال .. إله الناس جميعا ، يعبدونه من دون الله .. إلا من آمن بالله .. فانتزع نفسه من تلك العبودية المالية المهينة .

أى الناس أعظم فى نظركم أيها الناس ؟

أليس هو أغناهم ؟

أليس هو المليونير ؟

لا تتمنوا ما هو فيه .. لأنه مفتون بما هو فيه . إنه يمتحن بذلك المال. هل أدى ما افترضه الله عليه فى ماله من زكاة وصدقات ؟

فإن لم يكن الغنى من أولئك الذين يؤدون حق الله فى أموالهم ، فاعلموا أنه مبتلى مغضوب عليه من الله . . . وإنما زاده ليزيده ضلالا وبعدا . . . « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون » .. نعم فأيما غنى لم يؤد حق الله فى ماله فهو من أحط الناس قدرا عند الله ، وأبعدهم منه درجة يوم القيامة .

تلك حقيقة .. ويزيدها جلاء إذا علمنا أن الأغنياء الذين لا يفكرون إلا فى تضخيم ثرواتهم على حساب الضعفاء والفقراء . إنما هم قوم مجرمون حقا .. لأنهم اكتنزوا إيراد الأرض لأنفسهم ، بينما جعله الله أصلا رزقاً للناس جميعاً .

فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار أما إن كان الغنى ينفق أمواله ، ليلا ونهارا ، دائما وأبدا .. فى سبيل الله فى طاعة الله ، يخرج زكاته ، يكثر من الصدقة .. بل يبذل ماله دائما فى سبيل الله ، فذلك رجل عظيم .. موفق إلى الخير .. هذا هو الغنى العظيم الذى يبذل ماله فى الخيرات ، فيما ينفع الناس . .

أمثال أبى بكر الذى جاء بماله كله ووضعه بين يدى رسول الله !

أمثال عمر الذى جاء بنصف ماله يريد أن يسبق به أبا بكر إلى رسول الله

أمثال عثمان الذى كان يجهز الغزوة كلها من ماله الخاص ..

أمثال كل غنى موفق إلى الخير فى ماله .

* * *

لا حسد ينبغى من المؤمن .. فإن أراد أن يحسد فليحسد الدعاة فى دعوتهم إلى الله ؛ وليحسد الأغنياء فى نزولهم عن مالهم حبا فى الله ..

وهل هذا من الحسد ؟

كلا إنه استباق إلى الخيرات !